بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ
الصادقين
العدد ١٤٤
الخميس ١٥ ذو الحجة ١٤٣٥ هـ / ٩ تشرين الاول ٢٠١٤ م
الإسلام محتاج الى جميع أبنائه
نشرة نصف شهرية تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾

﴿فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي﴾

انتصار آمرلي ... الأسباب والدلالات (١)

لقد أثلج المقاتلون العراقيون الغيارى دورنا أعادوا شيئا من البسمة إلى الوجوه التي علاها الحزن والأسى، حينما توجوا اليوم انتصاراتهم على خوارج العصر المجرمين المتعطشين للدم والخراب بتحرير مدينة آمرلي الصامدة المجاهدة وفك الحصار عن أهلها ودخول القوات الظافرة من جيش وشرطة وفصائل مسلحة وحشد شعبي لها وفتح الطرق المؤدية إليها.

إن النصر لا شك من الله تعالى ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (آل عمران:١٢٦) ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ (آل عمران:١٦٠) ولكن لهذا النصر أسبابا ومقدمات، منها :

١- صمود ابناء مدينة آمرلي وثباتهم وتقديم أروع صور المقاومة والتصدي للوحوش المتعطشة للدماء والخراب الذين حاصروا المدينة من جميع جهاتها أكثر من ثمانين يوما وما انفكوا خلالها من محاولات إحداث خرق لدخولها وانزال الكارثة على اهلها ،لكن ابناء آمرلي الشرفاء الشجعان قدموا انموذجا لشجاعة وإيمان وصبر وثبات العراقيين دفاعا عن مقدساتهم وحرماتهم وشارك في تسطير هذه الملحمة الرجال والنساء والاطفال وردوا الاعداء في كل مرة بعد إن كانوا يكبدونهم خسائر فادحة في الأشخاص والمعدات حيث استعملت الدبابات والمدرعات، وكان من بين القتلى عددا من قادتهم الاشرار وبذلك ستكون هذه المدينة الصامدة البطلة بإذن الله تعالى منعطفا في سير العمليات المباركة لتطهير الارض من هؤلاء الارجاس وعقيدتهم الشيطانية.

٢- شعور الجميع بالمسؤولية وتحملهم لها وقيامهم بواجبهم، ابتداء من مراجع الدين الذين يعون دورهم الكبير والمؤثر فاتخذوا الموقف الحازم المناسب للحدث من دون مجاملة ومداهنة، إلى السياسيين الذين غلبوا المصالح العامة على مصالحهم الخاصة وشاركوا في التعبئة العامة وتأسيس الجيش الرديف للجيش النظامي، إلى الشعب الذي هب لنصرة إخوانهم المستضعفين المظلومين تلبية لقوله تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ (النساء:٧٥) وللحديث الشريف: (من سمع رجلا ينادي يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم)(٢).

وهكذا توحّد الجميع حول هذه القضية فبارك الله تعالى لهم في وقفتهم وأنزل عليهم النصر.

٣- الاهتمام الإعلامي الذي نالته هذه القضية بعد أن مرت أسابيع على حصار آمرلي من تمام جهاتها من دون أن يذكرها أحد إلا أفراد قلائل كانوا يتواصلون مع أهلها عبر الهواتف ويتعرفون على احتياجاتهم وكيفية مساعدتهم وكانوا يتحركون على طيران الجيش الأبطال ليقوموا بإيصال الغذاء والدواء والسلاح الذي هم أحوج ما

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(١) صدر البيان بتاريخ ٤/ذق/١٤٣٥ المصادف ٣١-٨-٢٠١٤ في نفس يوم تحرير آمرلي التي يسكنها التركمان الشيعة وتقع بين تكريت وكركوك

(٢) الكافي: ١/ ١٦٤، بالاسناد عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن النبي (ﷺ) قال: (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم).

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (٣) (سورة محمد/٣٨)

تبين الآية سنة إلهية وقانونا ثابتا وفي نفس الوقت توجه تحذيرا لكل الناس، مفاده أن المشروع الإلهي الذي حملته رسالة الاسلام العظيمة ماض وسائر في طريق تحقيق الأهداف المرسومة له، وإن تقاعس واعراض البعض -مهما كثر عددهم- لا يعرقل هذه المسيرة الإلهية وإنما تعرض الرسالة عليهم وتطلب النصرة منهم لطفا بهم من الله تعالى وامتنانا عليهم ليحصلوا على شرف المشاركة وثواب العاملين في الدنيا والآخرة، فإذا أعرضوا عن هذا التكليف ولم يتحملوه فإنهم هم الخاسرون وسيوفق الله تعالى أقواما غيرهم لينهضوا بهذه المسؤولية ويحصلوا على نتائجها المباركة.

والخطابات القرآنية عامة شاملة لكل الأجيال ولكل الأزمان فلا يتصور أحد أن هذه الآية خاصة بالقوم الذين كانوا حول النبي (ﷺ) وانه تهديد لهم فقط، وإنما هي سنة إلهية عامة ثابتة ﴿فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾ (فاطر/٤٣) وقد أشارت عدة آيات قرآنية إلى هذه السنة الإلهية ،قال تعالى ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير﴾ (التوبة/٣٩)، ﴿وما نحن بمسبوقين ۞ على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون﴾ (الواقعة/٦٠-٦١)، ﴿إنا لقادرون ۞ على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين﴾ (المعارج/٤١).

وقد تركت الآية كلمة (تتولوا) بلا ذكر لمتعلقها، وإن التولي يكون عن ماذا؟ لتكون مطلقة وتكون السنة جارية في كل تولي واعراض سواء تعلق بأصول الدين أو فروعه أي مطلق طاعة الله تعالى.

إذ من الناس من يعرض ويتوالى عن أصل الإيمان والدين ويتجرد منه ويتحول إلى لا ديني ويتبنى أفكارا وأيديولوجيات مناهضة للدين ومشككة فيه بأي عنوان كان كالملحد أو الكافر و نحو ذلك، وهذا المورد من التولي والاعراض ذكرته آية أخرى قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ (المائدة/٥٤).

ومنهم من يؤمن نظريا بالإسلام لكنه لا يقوم بالتزاماته وقد ذكرت الآيات المتقدمة على الآية محل البحث من سورة الحديد صورا من الخذلان الذي يصيب الانسان كعدم الانفاق في سبيل الله تعالى وكالقعود عن الجهاد في آية سورة التوبة المتقدمة، أو أي فرصة من فرص الطاعة التي يهيئها الله تعالى للإنسان كمساعدة محتاج أو قضاء حاجة مؤمن فإنه إن فوتها ولم يستثمرها فإن الله تعالى سيقيّض من يقوم بها وهو شاكر لله تعالى على توفيقه.

ولا شك أن من أكثر الموارد التي تظهر فيها هذه السنة الإلهية هي طاعة من أمر الله تعالى بطاعته وهو النبي (ﷺ) ومن بعده الأئمة المعصومون (عليهم السلام) ثم العلماء العاملون المخلصون النوّاب عن الإمام (عليه السلام) في غيبته، فإن من يتقاعس عن طاعتهم والالتزام بتوجيهاتهم فضلا عمن يشكك فيهم

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(٣) من كلمة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من طلبة جامعة ميسان وطلبة بعض المدارس القرآنية وعدد من القيادات الميدانية لمتطوعي لواء الشباب الرسالي وبعض المنظمات الانسانية يوم السبت ١٧/ذ ق/١٤٣٥ المصادف ١٣/ ٩/ ٢٠١٤.

(٤) نهج البلاغة: ١٢٥، الخطبة ٧٠. (٥) راجع تفصيل ترجمته ومصادرها في أدب الطف للمرحوم الخطيب السيد جواد شبر: ١/ ٩٤-١٠٠ (٦) أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام) للمرحوم السيد جواد شبر: ١/٩٦.

(٧) مفاتيح الجنان: ٣٢٧ ادعية ليالي شهر رمضان.

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٨) (الرحمن٦٠)

قاعدة يتسالم عليها العقلاء وتدعو اليها الفطرة الانسانية يقررنا الله تبارك وتعالى عليها بصيغة الاستفهام الاقراري لتعليل ما سبق ذكره من النعم، حيث جاءت الآية من سورة الرحمن في هذا السياق حيث بدأ المقطع بقوله تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ الرحمن٤٦، وذكر عدة من نعم الجنان، وليطمئننا بأن الأعمال الحسنة لا تضيع لأن الاحسان لا يجازى إلا بالإحسان ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ الكهف٣٠.

وقد كتب الله تبارك وتعالى على نفسه إجراء هذه القاعدة في تعامله مع عباده، فإنه لم يعاملهم بمقتضى العدل والمجازاة بالمثل، وانما كافأهم على اساس الاحسان والفضل مع انه هو المنعم والهادي والممكّن لعبده في فعل الاحسان ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين﴾ الحجرات١٧، وفي أمالي الصدوق بسنده عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال (سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ان الله عزوجل قال ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة)(٩)، ومع انه غني عن عباده وحينما يحسنون فإنما يحسنون لأنفسهم ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ الإسراء٧، فعطاؤه تعالى إحسان في إحسان، في نهج البلاغة من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام): (ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه، لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه، لقدرته على عباده، ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه سبحانه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد أهله)(١٠).

ومن المعلوم أن الاحسان فوق العدل، لان العدل منح الاستحقاق فيأخذ ماله ويعطي ما عليه، اما الاحسان فإعطاء ما لا يلزمه من الخير والتنازل عما يستحقه، وقد أشارت آيات كثيرة الى هذا الاحسان، قال تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ يونس٢٦ وقال تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ الأنعام١٦٠ وقال تعالى ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ النساء٤٠، ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ النمل٨٩، ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ البقرة٢٦١.

ومن الروايات التي تصور لنا إحسان الله تبارك وتعالى ما ورد عن فضيل بن عثمان المرادي قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (قال رسول الله (ﷺ): أربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن إلا هالك، يهم العبد بالحسنة فيعملها فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيته، وإن هو عملها كتب الله له عشرا. ويهم بالسيئة أن يعملها فإن لم يعملها لم يكتب عليه شئ وإن هو عملها اجل سبع ساعات وقال صاحب الحسنات لصاحب السيئات وهو صاحب الشمال: لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها، فإن الله عز وجل يقول: ۞ (إن الحسنات يذهبن السيئات) ۞ أو الاستغفار فإن هو قال: "أستغفر الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم الغفور الرحيم ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه" لم يكتب عليه شئ، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة واستغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات: اكتب على الشقي المحروم)(١١)، ومع ذلك فأنه يمنح عدة فرص:

(منها) فتح باب التوبة ما دام في هذه الدنيا، عن رسول الله (ﷺ) قال: (من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته) وعنه (ﷺ) قال: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)(١٢).

-و(منها) انه إذا فعل حسنات فانها تكفر السيئات بل تبدلها الى حسنات ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ هود١١٤، ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ الفرقان٧٠

-و(منها) اعتبار البلايا والصعوبات والالام التي يمر بها الانسان كفارة لذنوبه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم لتسلم بها طاعاتهم ويستحقوا عليها ثوابها)(١٣).

-و(منها) العفو والصفح ابتداءا تكرما من الله تعالى وفضلا من غير تسبيب العبد ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (الشورى٣٠).

عموم الآية للمسلم وغيره:- والآية عامة لا تختص بالمؤمنين فكل من يصدر منه فعل الاحسان يكافئه الله تعالى بالإحسان مؤمنا كان او غير مؤمن على اختلاف درجاتهم في الكفر و الشرك او الجهل بالخالق، روى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): ما أحسن محسن من مسلم، ولا كافر إلا أثابه الله : فقلنا : يا رسول الله ، ما إثابة الكافر؟ قال: إن كان قد وصل رحما ، أو تصدق بصدقة، أو عمل حسنة أثابه الله المال والولد والصحة وأشباه ذلك، قال: فقلنا : فما إثابته في الآخرة ؟ قال: عذابا دون العذاب، وقرأ (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)(١٤) غافر ٦٤ هذا بالنسبة للمعاند اما غير المعاند فيكافئه الله تعالى بالهداية الى الاسلام والايمان وطريق الجنة والشواهد كثيرة على حصول مكافأة كبيرة لمن قام بعمل يسير كتلك المرأة الفاسقة التي دخلت الجنة لأنها سقت قطة عطشى ماءا، او الحر الرياحي الذي لم يزد على الامام الحسين (عليه السلام) حين قال له ثكلتك امك يا حر لان امه الزهراء (عليها السلام) فكوفئ بنيل الشهادة والسعادة الابدية.

ونقل بعض المفسرين ان شخصا مسلما شاهد امرأة كافرة تنثر الحب للطيور في الشتاء فقال لها : لا يقبل العمل من امثالك، فأجابته : اني اعمل هذا سواء قبل ام لم يقبل، ولم يمض وقت طويل حتى رأى الرجل هذه المراءة في حرم الكعبة، فقالت له يا هذا ان الله تفضل علي بنعمة الاسلام ببركة الحبوب القليلة(١٥).

ثمرة عملية لذكر الآية أراد الله تعالى بتذكيرنا بهذا القانون الفطري وبتعامله معنا على اساسه أن يؤدبنا بهذا الأدب وان نتعامل بهذه القاعدة العقلائية الفطرية مع الله تبارك وتعالى المحسن المتفضل، وكذلك بيننا نحن البشر وإن خالفونا في الدين، فنجازي الاحسان بالإحسان، روى علي بن سالم قال: سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول: آية في كتاب الله مسجلة، قلت: وما هي؟ قال: قول الله تبارك وتعالى: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) جرت في المؤمن والكافر والبر والفاجر، من صنع إليه معروف فعليه أن يكافىء به، وليس المكافأة أن يصنع كما صنع به، بل حتى يرى مع فعله، لذلك ان له فضل المبتدى)(١٦).

وقد حثت الآيات الكريمة والروايات الشريفة على اتباع طريقة الاحسان في التعامل مع الاخرين وانه من افضل القربات التي توجب المحبة الالهية، قال تعالى ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ البقرة ١٩٥، ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ العنكبوت ٦٩ ، ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ النحل ١٢٨، ومن كلمات امير المؤمنين (عليه السلام) ﴿عليك بالإحسان فإنه أفضل زراعة و أربح بضاعة﴾ وعنه (عليه السلام) (رأس الإيمان الإحسان إلى الناس) وعنه (عليه السلام) (نعم زاد المعاد الإحسان إلى العباد) وعنه (عليه السلام) (لو رأيتم الإحسان شخصا لرأيتموه شكلا جميلا يفوق العالمين)(١٧).

الانسان يخالف هذه القاعدة :- لكن الانسان العنود الكنود المجادل الجهول الظلوم خالف هذه القاعدة في علاقته مع ربه ولم ينصفه بأدنى درجات الانصاف فيكون الاستفهام في الآية استنكاريا بهذا اللحاظ، ويكون فيها عتاب للإنسان بأنه لا يعمل بها بعد أخذ اقراره بها في عيون اخبار الرضا وأمالي الطوسي بالإسناد عن الامام الرضا (عليه السلام) عن آبائه الطاهرين (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (حدثني أخي رسول الله (ﷺ) قال: يقول الله عزوجل : يا ابن آدم ما تنصفني! أتحبب اليك بالنعم، وتتمقت اليّ بالمعاصي، خيري اليك نازل وشرك اليّ صاعد، ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك في كل يوم بعمل غير صالح، يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وانت لا تدري من الموصوف لسارعت الى مقته)(١٨).

وورد هذا المعنى في دعاء الامام السجاد (عليه السلام) المروي عن طريق ابي حمزة الثمالي ﴿ذنوبنا بين يديك نستغفرك اللهم منها ونتوب اليك، تتحبب الينا بالنعم ونعارضك بالذنوب، خيرك الينا نازل، وشرنا اليك صاعد، ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح، فلا يمنعك ذلك من ان تحوطنا بنعمك، وتتفضل علينا بآلائك، فسبحانك ما احلمك واعظمك واكرمك مبدئا ومعيدا، تقدست اسماؤك وجل ثناؤك، وكرم صنائعك وفعالك) (١٩).

اما الامام الحسين (عليه السلام) فيفصل أكثر في بيان هذه العلاقة غير المنصفة بين الانسان وربه في دعائه العظيم يوم عرفة فبعد ان قال (عليه السلام) (يا من قل له شكرى فلم يحرمنى، وعظمت خطيئتى فلم يفضحنى، ورآنى على المعاصى فلم يشهرنى، يا من حفظنى فى صغرى، يا من رزقنى فى كبرى، يا من اياديه عندى لا تحصى، ونعمه لا تجازى، يا من عارضنى بالخير والاحسان، وعارضته بالاساءة والعصيان) بدأ (عليه السلام) بتفصيل عدم انصاف الانسان لربه، فيقول عن ربه تعالى ﴿يا مولاى انت الذى مننت، انت الذى انعمت، انت الذى احسنت، انت الذى اجملت، انت الذى افضلت، انت الذى اكملت، انت الذى رزقت، انت الذى وفقت، انت الذى اعطيت، انت الذى اغنيت، انت الذى اقنيت، انت الذى آويت، انت الذى كفيت، انت الذى هديت، انت الذى عصمت، انت الذى سترت، انت الذى غفرت، انت الذى اقلت، انت الذى مكنت، انت الذى اعززت، انت الذى اعنت، انت الذى عضدت، انت الذى ايدت، انت الذى نصرت، انت الذى شفيت، انت الذى عافيت﴾ الى اخر ما قال (عليه السلام).

وماذا عن العبد ؟ قال (عليه السلام)، (ثم انا يا الهى المعترف بذنوبى فاغفرها لى، انا الذى اسأت، انا الذى اخطأت، انا الذى هممت، انا الذى جهلت، انا الذى غفلت، انا الذى سهوت، انا الذى اعتمدت، انا الذى تعمدت، انا الذى وعدت، وانا الذى اخلفت، انا الذى نكثت، انا الذى اقررت، انا الذى اعترفت بنعمتك علىّ وعندى، وابوء بذنوبى فاغفرها لى)(٢٠).

وإذا كان السائد على علاقة الانسان مع ربه وخالقه هو عدم الانصاف، فهو كذلك مع الناس حيث يسود الناس الظلم والفساد والغش والخداع والاحتيال قال تعالى ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ (الروم ٤١) خلافا للأدب الذي أمرنا الله تعالى به أن نجازي بالإحسان من احسن الينا وعلى رأسهم النبي (ﷺ) والائمة الطاهرون (صلوات الله عليهم اجمعين) والعلماء العاملون المخلصون والوالدان ﴿بالوالدين إحسانا﴾ البقرة ٨٣ وجيراننا وارحامنا والذين علمونا والذين ربونا وهكذا كل من أحسن الينا.

بل أمرنا بالإحسان حتى لمن اساء الينا، قال تعالى ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾ المؤمنون ٩٦ ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ فصلت ٣٤.

---

(٨) الخطبة الاولى لصلاة عيد الاضحى المبارك عام ١٤٣٥ المصادف ٥/١٠/ ٢٠١٤ (٩) أمالي الصدوق : ٣١٦ ح (١٠) نهج البلاغة : ٣٣٣ خطبة .٢١٦ (١١) شرح أصول الكافي المؤلف : الملا صالح المازندراني الجزء : ١٠ صفحة : ١٦٦

(١٢) راجع مصادرها في ميزان الحكمة : ١/ ٥١٤٠. (١٣) بحار الانوار: ٦٧/٢٣٢/ ح ٤٨ (١٤) تفسير ابن كثير : ٧/ ١٣٨ (١٥) تفسير الامثل: ١٣/ ٤٧٥ (١٦) حكاها عن روح البيان : ٩/ ٣١٠ (١٧) تفسير البرهان : ٩/ ١٩٣.

(١٨) ميزان الحكمة. ٢:٣٩١ (١٩) امالي الطوسي : ٣٠٢ ح ١٠ من الجزء الخامس. عيون اخبار الرضا (عليه السلام): ٢ ٢٨ (٢٠) مفاتيح الجنان : ٣٣٧مفاتيح الجنان : ٤٦٧ اعمال شهر ذي الحجة.

﴿فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي﴾ (٢١)

كان الواعون من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) والحريصون على دينهم وآخرتهم ينظرون باهتمام بالغ إلى ما يصدر عنهم (عليهم السلام) من أخبار عن الفتن والغربلة والسقوط في الامتحان و يحملونها محمل الجد ليصونوا أنفسهم من الوقوع في تلك الفتن ومن الفشل في الامتحان الذي يحصل لكثير من عامة الناس؛ لذا كانوا يسألون الأئمة (عليهم السلام) عن تكليفهم وعما ينجيهم من الجهالة و يخلصهم من حيرة الضلالة، التي هي وظيفة الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، ومن بعدهم علماء الدين خصوصا في زمان غيبة الإمام (عجل الله فرجه) التي قال فيها الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون)(٢٢).

والحيرة والهلاك تكون بعدة مستويات:

(منها) على نحو إنكار أصل الغيبة لاستبعاد أن يبقى إنسان هذه المدة الطويلة أو لأي شبهة أخرى.

(ومنها) الاعتراض على طول الغيبة لعدم الصبر على تأخير الانتقام من الظالمين او للعجز عن إدامة حالة الاستعداد والتمهيد للظهور بأشكال التمهيد الذي يتطلب أحيانا تضحية بالنفس ومواجهة مع الظالمين واصطداما بالمجتمع، ولذا ستكون فترة الغيبة صعبة وشاقة.

(ومنها) كثرة أصحاب الدعاوى الباطلة الذين يدعون الارتباط بالإمام (عليه السلام) ومشروعه فيخدعون بها السذج والجهلة ليتآمروا عليهم، وهكذا.

روى زرارة -وهو من أجلاء أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)- قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر، وهو الذي يشك في ولادته،

هذا الدعاء وطلب هذه المعاني، وحينئذ سيعصمك الله تعالى من الضلال، ألا ترى أن الإنسان لو تعرض إلى عدو قاتل أو حيوان مفترس وله مأوى محصن، فهل ينجيه أن يردد بلسانه بأي عدد من المرات: (أعوذ بهذا الحصن من العدو))؟ أم أن عليه أن يدخل في ذلك الحصن فعلا؟.

فطريق النجاة يتطلب معرفة الإمام (عليه السلام) معرفة صحيحة والسير على نهجه.

والدعاء المذكور في الحديث يشير إلى ترتيب في طريق المعرفة على عكس ما هو متعارف لدى أغلب الناس فنحن ننتقل بالمعرفة من الأثر إلى المؤثر ومن الفرع إلى الأصل، وهو طريق مقبول ولم ينفه الحديث الشريف وروى الشيخ الصدوق (قدس سره) في كتاب التوحيد في تفسير هذا الحديث عن الصادق (عليه السلام) قوله: (لولا الله ما عرفنا، ولولا نحن ما عرف الله) ثم قال الصدوق: ((ومعناه لولا الحجج ما عرف الله حق معرفته ولولا الله ما عرف الحجج))(٢٤).

فهذه المعرفة الغالبة لدى الناس مقبولة، لكن الحديث يدعو الى المعرفة الأسمى وهي التي تبدأ بالأصل ثم الى الفرع، ففرق بين من يعرف طلوع الشمس من خلال إخبار الآخرين أو من خلال وجود ضوئها ونورها منعكسا عن الأشياء وبين من يراها عيانا، قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت:٥٣)، فبناء على كون الصفة المشبهة (شهيد) بمعنى اسم المفعول (مشهود) تفيد الآية أن ظهور الله تعالى في كل شيء يغني عن الآيات والدلائل في الأنفس والآفاق، وفي ملحق دعاء الامام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة عدة اشارت لهذا المعنى.

فالأصل هي معرفة الله تبارك وتعالى ومنها

رجلا قام إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ قال: بفسخ العزم ونقض الهم، لما هممت فحيل بيني وبين همي وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي علمت أن المدبر غيري)، فهذا من تجليات هيمنته وقيمومته وتدبيره عزوجل.

قال الفيض الكاشاني (قدس سره): ((فاطلبوا معرفته بآثاره فيها من حيث تدبيره لها وقيمومته إياها وتسخيره لها وإحاطته بها وقهره عليها حتى تعرفوا الله بهذه الصفات القائمة به ولا تنظروا إلى وجوهها التي إلى أنفسها أعني من حيث أنها أشياء لها ماهيات لا يمكن أن توجد بذواتها بل مفتقرة إلى موجد يوجدها؛ فإنكم إذا نظرتم إليها من هذه الجهة تكونوا قد عرفتم الله بالأشياء فلن تعرفوه إذن حق المعرفة، فإن معرفة مجرد كون الشيء مفتقرا إليه في وجود الأشياء ليست بمعرفة في الحقيقة على أن ذلك غير محتاج إليه))(٢٦).

فإذا عرفنا الله تعالى وأن من صفاته أنه لطيف بعباده رحيم كريم بهم وأنه حكيم لم يخلق الخلق عبثا بلا غاية وهدف فإنه لا يتركهم سدى وفي فوضى فيحصل نقيض الغرض بل ولا بد أن يبعث إليهم رسلا يعلمونهم ما يصلح شأنهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة ويضعون لهم القوانين والأحكام التي تنظم حياتهم، وهذه القوانين والأحكام تكون مبنية على أساس التوحيد ومنسجمة مع الصفات الإلهية ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ (الإسراء:٢٣) ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ (النحل:٩٠) ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ (النساء:٥٨).

القيادة الدينية الحقة بإقامتهم لأحكام هذه الشريعة ومبادئها وتنفيذها على ارض الواقع (واعرفوا أولو الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان) وفي رواية(٢٧) (وأولو الأمر بالمعروف) أي ليس فقط ويعرفون بأمرهم بالمعروف فهذا رغم أهميته إلا أنه قد يشاركهم كثيرون، فلا بد أن يعرفوا بالمعروف أي بإقامتهم للمعروف وأن يعملوا بما يأمرون به غيرهم.

فبهذه العلامات يعرف الأئمة (عليهم السلام) وقادة المسلمين وأولياء أمورهم وليس بالادعاءات والعناوين المصطنعة.

والسعي لتحصيل هذه المعرفة أمر ضروري بالغ الأهمية لما ورد في ذيل الدعاء (فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني) والضلال عن الدين يعني الوقوع في ظلمات الجاهلية، ومنه تعرف الارتباط بين هذا الدعاء والرواية المشهورة التي رواها الفريقان، وممن ذكرها الشيخ الصدوق عن محمد بن عثمان العمري- وهو السفير الثاني- قال: (سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي عن الخبر الذي روي عن آبائه عن رسول الله (ﷺ): (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)(٢٨) قال (عليه السلام): (نعم إن هذا حق كما أن النهار حق)(٢٩) وماذا تعني الجاهلية غير الضلال والا نحراف والفساد.

وكان غاية جهد الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وتضحياتهم إنقاذ العباد من الجاهلية وأغلالها وآصارها ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (الأعراف:١٥٧) وفي زيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام): (فأعذر في الدعاء

منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر، غير أن الله عز وجل يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون، يا زرارة، قال: قلت: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شيء أعمل؟، قال: يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء: اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فإنك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني)(٢٣).

وهذا التعليم إنما هو لنا نحن الذين نعيش في زمان الغيبة لأن الإمام (عليه السلام) يعلم أن زرارة لا يدرك زمان الغيبة، وكذلك يعلم زرارة لإخبار الإمام (عليه السلام) أن الغيبة للثاني عشر.

والمنجي ليس هو مجرد تحريك اللسان بهذه الكلمات فإنها لا توصل إلى هذه النتيجة وإن كانت توجب بعض الفوائد كتحصيل الثواب. وهذا معنى كررته في أحاديثي لأهميته، لذلك لم يقل الإمام (عليه السلام): (قل هذه الكلمات) وإنما قال: (ادع بهذا الدعاء) أي أوجد في نفسك حقيقة تنفتح المعرفة على النبي (ﷺ) ومن ثم معرفة الإمام (عليه السلام) وفي ذلك روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال أمير المؤمنين (عليه السلام): اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان)(٢٥). فالبداية من معرفة الله بالله تبارك وتعالى كما ورد في الأدعية الشريفة: (يا من دل على ذاته بذاته)-من دعاء الصباح- و (بك عرفتك وأنت دللتني عليك ولولا أنت لم أدر ما أنت)-من دعاء أبي حمزة.

والتفسير الذي يمكن تقريبه لمعنى معرفة الله بالله هو التعرف على الله تعالى وصفاته وأسمائه من خلال تجلياته في مخلوقاته، فمن جمال الطبيعة التي خلقها تعرف أنه جميل، ومن طول أناته وإمهاله للظالمين تعرف أنه حليم، ومن وضع كل شيء في موضعه تعرف أنه حكيم، ومن عجائب المخلوقات تعرف قدرته وقوته، ومن تناسقها وانسجامها ووحدة قوانينها تعرف أحديته، ومن تصرفه في الخلق كيف يشاء تعرف قيمومته وأن بيده كل شيء.

روى الشيخ الصدوق (قدس سره) في كتابه التوحيد في باب أن الله لا يعرف إلا به بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) عن أبيه عن جده (عليهم السلام) أنه قال: (إن

وبهذا المحتوى للرسالة تعرف من هو الرسول الصادق في دعواه وتميّزه عن المدعين المخادعين، وبذلك نكون قد عرفنا الرسول بالرسالة وهي أسمى معرفة ولا نحتاج حينئذ إلى معجزة أو إخبار الثقات و نحو ذلك من وسائل المعرفة التي لا تفيد الاطمئنان كالأولى.

ومن معرفة الرسول يُعرف الإمام؛ لأن النبي (ﷺ) معروف بأنه حكيم عاقل لا يمكن أن يترك الأمة بعده بلا راع، وأنه (ﷺ) رحيم بأمته شفيق عليهم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨) وأنه القرآن الناطق الذي يجسده في حياته، وأنه مظهر الصفات الإلهية، يعرف الإمام بعده الذي يكون خليفته ويقوم مقامه وهو أمير المؤمنين (عليه السلام)، فالذين تآمروا بعد وفاة رسول الله (ﷺ)وانكروا وصيته في علي (عليه السلام) وادعوا عدم نصية خليفة من بعده، انما أساؤوا إلى رسول الله (ﷺ) ولم يعرفوه حق معرفته، لانهم انكروا بذلك حكمته ورحمته ولطفه وشفقته وحرصه على الامة وغيرها من خصاله الكريمة.

ومن بعد الرسول يعرف الإمام وأولو الأمر أي

ومنح النصح وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة).

وهذه العلامات لأولياء الأمور الذين يقودون الأمة ويأخذون بأيدي الناس نحو الهداية والصلاح ذكرتها الآية الشريفة: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١) وأي تمكين في الأرض زمان الغيبة أقوى من ولاية أمور المسلمين والنيابة عن الإمام المهدي (عليه السلام)، فعلامات قيادتهم الصحيحة إقامة معالم الدين المذكورة ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ (الشورى:١٣).

فمن أهم وظائف المنتظرين في زمان الغيبة معرفة الحجة التي إن تمسكت بها لن تضل عن دينك، بإقامتهم لدين الله تعالى وحرصهم على عباد الله تعالى، وان السبب الرئيسي لمعاناة الامة والكوارث التي تحل بها هو عدم اهتدائها الى قادتها الحقيقيين، او عدم طاعتهم كما يلزم.

اللهم اعنا ووفقنا لما تحب وترضى وعلى ما افترضت علينا من طاعتك وطاعة رسولك واهل ولايتك (٣٠).

---

(٢١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الاضحى المبارك عام ١٤٣٥ المصادف ٢٠١٤.١٠.٥

(٢٢) كمال الدين للصدوق: ٢/٨١، الباب ٣٨.

(٢٣) الكافي: ١/١٩٧، كتاب الغيبة.

(٢٤) حكاه عنه في الوافي: ١/ ٢٢١، باب ٢٩ إنه لا يعرف الا به.

(٢٥) أصول الكافي: كتاب التوحيد: ٥١، باب أنه لا يعرف إلا به، وفي توحيد الصدوق: ٢٨٦، باب بنفي العنوان أنه لا يعرف الا به.

(٢٦) الوافي: ١/ ٢٢٢، كتاب العقل والعلم والتوحيد، باب ٢٩: أنه لا يعرف إلا به.

(٢٧) كتاب التوحيد للصدوق: ٢٨٦.

(٢٨) وروى الشيخ المفيد عن محمد بن علي الحلبي، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): (من مات وليس عليه إمام حي ظاهر مات ميتة جاهلية) الاختصاص: ٢٦٩، ونقلها عنه المجلسي في البحار: ٧/ ٢٠.

(٢٩) كمال الدين: ٢/ ٨١، الباب ٣٨، والحديث مشهور لدى طوائف المسلمين.

(٣٠) من الدعاء المأثور للعشر الاوائل من ذي الحجة.

الصادقين

العدد ١٤٤

الخميس ١٥ ذو الحجة ١٤٣٥ هـ / ٩ تشرين الاول ٢٠١٤ م

تتمة انتصار آمرلي ... الأسباب والدلالات

يكون إليه، وبقي النسيان يلفها حتى وقعت الكارثة على إخواننا المسيحيين والإيزيديين في سهل نينوى وفي جبل سنجار وسلط الإعلام عليهم وحصل تحرك دولي لمساعدتهم وإنقاذهم فشعر المتخاذلون والانتقائيون بالحرج وتحركوا باتجاه هذه المحنة، فبدأ الإعلام بتغطيتها وخرجت المظاهرات لنصرة المحاصرين والمطالبة بنجدتهم، ممّا ساهم في إيجاد موقف وطني موحّد.

٤- التغييرات السياسية خلال الشهرين الماضيين والتي اقترنت بتنازلات ساهمت بفك بعض العقد وإزالة بعض العقبات وأعادت الأمل في توحيد العراقيين والمضي بمشروع وطني واسع يحفظ للجميع حقوقهم ويزيل مخاوفهم، فدفع عددا أكبر للانخراط في عمليات تحرير البلاد.

ولهذا النصر دلالات ومعطيات ومواعظ، منها:

١- إن العراقيين قادرون على أن ينهضوا ويبنوا بلادهم و يحموا شعبهم ويتقدموا في طريق السيادة والحرية والازدهار والوحدة، إذا اتحدوا وأخلصوا نياتهم وشحذوا هممهم وأطاعوا قياداتهم المخلصة العاملة، ولقد حاولت بعض وسائل الإعلام والجهات السياسية في الداخل والخارج أن تنسب الإنجاز اليوم إلى مشاركة الطيران الغربي في العمليات إلا أن المراسلين الإعلاميين في ساحة العمليات نفوا وجود هذه المشاركة حتى على مستوى إلقاء المعونات الغذائية.

٢- إن المجرمين المتوحشين جبناء ينهزمون أمام صمود ذوي البصائر والعقيدة وليس لهم وسيلة إلا الولوغ في الجريمة لإرهاب الخصم وهزيمته بالرعب.

٣- إن التحشيد الاعلامي وإثارة الرأي العام تجاه قضية معينة يضغط على المعنيين بها ويأتي بنتائج مثمرة، و نحن الآن أمام امتحان آخر لا يقل عن كارثة آمرلي وهم ضحايا قاعدة سبايكر الذين تستنهضنا دماؤهم لمعرفة تفاصيل ما جرى والمسؤولين عن الجريمة وانزال العقوبات العادلة بهم.

٤- ونعلنها صريحة في وجوه العشائر وأبناء المدن التي دعمت الارهاب وأحتضنته وأمدته بالشباب المغرر بهم وبالمال والسلاح أن يثوبوا الى رشدهم وأن يغسلوا هذا العار الذي لحقهم حتى اقترنت عناوينهم بكل الجرائم الوحشية المرتكبة، وعليهم أن يعبروا عن ذلك بنهضة شريفة غيورة ويشاركون فيها ابناء الوطن كافة لدحر هذا الخطر الماحق، والا سيسجل التاريخ لهم هذه الخيانة والغدر والروح الشريرة حيث اشتركوا مع الاغراب المتوحشين في قتل اخوانهم الابرياء من رجال ونساء واطفال لا لشيء إلا لأن لهم مشكلة مع هذه الجهة السياسية أو ذاك الحاكم، واذا كانوا يعتقدون أن عندهم مطلبا حقا فليحققوه بالحوار والقلوب المفتوحة.

٥- إدامة هذا الزخم المعنوي وهذا التوحد ولنستثمر هذه الأجواء الإيجابية لإنجاح المشروع الوطني.

وأوصي أبناءنا المقاتلين أن لا يغتروا بالنصر فينسوا ذكر الله تعالى الذي من عليهم به، كما حصل في بعض التجارب السابقة؛ فيسلب النصر، وأن يبقوا يقظين حذرين ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (النساء:١٠٢).

٦- لا يحق لنا أن نسترخي ونظن أن المعركة قد انتهت لأن العدو المولغ في الجريمة سوف لا يتوقف هو وأسياده الذين يدفعونه ويمولونه ويعدّون له الخطط، ولكن الله تعالى وعدكم بالنصر وإطفاء كل فتنة يوقدونها ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة:٦٤).

محمد اليعقوبي- النجف الأشرف

٤/ ذو القعدة/١٤٣٥

٢٠١٤ / ٨ / ٣١

تتمة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾

ويفتري عليهم ويسقطهم فإن التوفيق يسلب منه ويمنح إلى آخرين مطيعين مخلصين ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد/٣٨) بل يكونون ثابتي الإيمان ذوي همم عالية وإصرار على العمل.

وهذا الابتلاء مرّت به الامم ففشل اكثرهم وتولوا واعرضوا فاصيبوا بأسوء النتائج، ماذا كان دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما خذله أصحابه وتقاعسوا وتفرقوا، (قال (عليه السلام) في سحرة اليوم الذي ضرب فيه: ملكتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله (ﷺ) فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيت من امتك من الأود -أي الاعوجاج- واللدد- أي الخصام؟ فقال: ادع عليهم، فقلت: أبدلني الله بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا لهم مني)(٤) خذ مثلا السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس) فإن كثيرا من العناوين الكبيرة وغيرهم داخل الحوزة وخارجها خذلوه وعارضوه وشككوا فيه وفي حركته فحرموا من هذا اللطف الإلهي، وهيأ الله تعالى للسيد الشهيد شبابا مليئين بالإيمان والحيوية والتفاني أخذوا المواقع المخصصة لأولئك الذين حرموا أنفسهم من هذا الفضل العظيم، واستمرت هذه الحركة المباركة حتى بعد استشهاده ومرور (١٦) سنة على رحيله، لكن صدى حركته اليوم وآثارها المباركة أوسع مما كانت في حياته الشريفة.

وإذا أردنا أن نعرج على كربلاء ونأخذ الشواهد منها، فهناك شخصان نقرّب جريان سنة الاستبدال عليهما بحسب الظاهر.

أحدهما: عبيد الله بن الحر الجعفي أحد الفرسان المعروفين بالفتك وهو معدود من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وله نسخة يرويها عنه (عليه السلام) -بحسب رجال النجاشي-، التقاه الحسين (عليه السلام) في طريقه إلى كربلاء ودعاه إلى نصرته فامتنع عبيد الله عن الإجابة وقدم للحسين فرسه المسماة بالمحلقة وقال ((هذه فرسي المحلقة فاركبها فوالله ما طلبت عليها شيئا إلا أدركته ولا طلبني أحد إلا فتته حتى تلتحق بمأمنك وأنا ضمين بعيالاتك أؤديهم إليك))، فقال الحسين (عليه السلام) (لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنت متخذ المضلين عضدا)(٥) فنصحه الحسين (عليه السلام) بأن يغيب وجهه ولا يشهد واعيته وقال (عليه السلام) (فوالله لا يسمع اليوم واعيتنا أحد ثم لا يعيننا إلا كبه الله على منخريه في النار).

ثانيهما: الحر الرياحي الذي كان قائدا كبيرا في جيش الأمويين وهو الذي قاد الكتيبة التي اعترضت الإمام الحسين (عليه السلام) في طريقه ومنعته من العودة إلى أهله ودياره ورافقته حتى نزل كربلاء على لكنه في لحظة من لحظات التوفيق والألطاف الإلهية وقف وتأمل في مصيره وعاقبته وخير نفسه بين الدنيا المزخرفة التي كان يتمتع بها في ركاب بني أمية لكن عاقبتها النار، وبين القتال والشهادة بين يدي أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وختامها مسك والفوز والجنة ورضوان الله فقال كلمته التي نقلت عبر الأثير إلى كل الأجيال (لا أختار على الجنة شيئا أبدا).

محل الشاهد ان هذا المقعد في قافلة شهداء الخلود لما توانى عنه عبيد الله وأعرض عنه ملأه غيره وهو الحر الرياحي وفاز به ومضت القافلة في طريقها، وبقي عبيد الله نادما متحسرا على تفويت هذه الفرصة فالتحق بالمختار لأخذ الثأر ثم اختلف معه والتحق بمصعب ثم اختلف معه وقاتله.

ومن شعره المعبر عن عظيم حسرته:

فيا لك حسرة ما دمت حيا
تردّد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري
على أهل الضلالة والنفاق
غداة يقول لي بالقصر قولا
أتتركنا وتزمع بالفراق
ولو أني أواسيه بنفسي
لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسي فداه
توالى ثم ودّع بانطلاق
فلو فلق التلهف قلب حي
لهمّ اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الاولى نصروا حسينا
وخاب الآخرون إلى النفاق (٦)

ولابد أن نلتفت إلى أن هذا الاستبدال من الله تعالى ما كان ليحصل في الخارج إن لم يسبقه استبدال في داخل النفس من قبل الشخص نفسه فاستحق ذلك التبديل ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة/٣٨) ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة/٦١).

وهذا كله تطبيق لسنة الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد/١١) سواء باتجاه الخير أو الشر، ولذا كان من الادعية الواردة عن اهل البيت (عليهم السلام) (وتجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي (٧).

فعلينا أن نكون حذرين يقظين ونبادر إلى أي فرصة للطاعة ولا نفوتها أو نؤخرها أو نعتقد أنه لا أحد يستطيع أن يأخذها منا ويملأ مكاننا فيها، فإن الله تعالى غني عن خلقه ويستبدل بالمقصرين والعاصين من يحبهم الله تعالى ويحبونه ثم لا يكونوا أمثالكم.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول أو على عنوان البريد الألكتروني : .com

موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي